جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة الإسلامية بالمنوفية

استطراد المفسرين وأثره في التفسير

إعداد

عائشة السيد محمد السيد حسن
أستاذ مساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
فرع البنات – القاهرة

استطراد المفسرين وأثره في التفسير

عائشة السيد محمد السيد حسن
أستاذ مساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن جامعة الأزهر – كلية الدراسات الإسلامية والعربية فرع البنات – القاهرة.
البريد الإلكتروني AishaAlSaid 2294 .el@azhar.edu.eg

ملخص البحث

امتلأت كتب التفسير بكثير من الاستطرادات التي تتفاوت وتتنوع تبعًا لأنواع العلوم التي برع فيها المفسرون، حيث صنف في التفسير مَنْ برع في علم النحو فأكثر في تفسيره من الاستطراد في مسائل الإعراب وقواعد النحو وفروعه، وكذلك مَنْ برع في علم الفقه أكثر من الاستطراد في المسائل الفقهية وفروعها وأدلتها، ومَنْ برع في العلوم العقلية اعتنى في تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة وذكر شبهاتهم والرد عليها...، وهكذا حتى كثرت الاستطرادات في كتب التفسير وتنوعت.

ومع القيمة العلمية لهذه الاستطرادات التي جمعتها كتب التفسير، إلا أنها في كثير من المواضع طغت على بيان معاني ومقاصد وهدايات الآيات، وهو المقصود الأولى والأهم.

الكلمات المفتاحية: الاستطراد – التفسير – نشأة – نماذج – أثر.

Explanation of the Commentators and its Impact on Interpretation

Aisha El Sayed Mohamed El Sayed Hassan
Assistant Professor، Department of Interpretation and Quranic Sciences، Al-Azhar University - Faculty of Islamic and Arabic Studies Girls Branch – Cairo

E Mail: AishaAlSaid 2294 **.el@azhar.edu.eg**

Abstract

The books of interpretation were filled with many digressions that vary and vary according to the types of sciences in which the exegetes excelled، as he classified in interpretation those who excelled in the science of grammar and more in its interpretation than the digression in the issues of parsing and the rules of grammar and its branches، as well as those who excelled in the science of jurisprudence more than the digression in the issues of jurisprudence. And its branches and evidence، and whoever excels in the mental sciences takes care in his interpretation of the sayings of the wise and philosophers، and mentions their doubts and responds to them...، and so on until the digressions in the books of interpretation multiplied and varied.

Despite the scientific value of these digressions collected in the books of interpretation، but in many places they overshadowed the statement of the meanings، purposes and gifts of the verses، which is the first and most important purpose.

Keywords: Digression - Interpretation - Genesis - Models - Impact.

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي أنزل القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، والصلاة والسلام على النبي الهادي الأمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبع هداهم إلى يوم الدين.

وبعد،،،

فإن هداية القرآن الكريم عامة وباقية على مر العصور، تتجدد بتجدد حياة الإنسان، مع تجدد الأجيال والأحوال، يستطيع كل جيل أن ينهل من فيضها، وأن يستهدي بها.

وقد تفاوتت أنظار المفسرين في بيان هدايات القرآن الكريم على مر العصور، تبعًا لأحوال عصورهم وبيئاتهم وتحصيلهم لكثير من العلوم والمعارف التي مكنتهم من البحث في تفسير القرآن الكريم، حتى قدَّموا للأمة تراثًا تفسيريًا عظيمًا، تزخر وتفخر به المكتبة الإسلامية على مر العصور.

ومع هذا الجهد العظيم الذي بذله هؤلاء العلماء في خدمة القرآن الكريم، ومع كثرة ما تحويه المكتبة الإسلامية من تفاسير، مازلنا بحاجة إلى تفسير القرآن الكريم تفسيرًا يلبي حاجة المجتمع إلى فهم معاني وهدايات ومقاصد القرآن الكريم، حيث إننا نجد في تراثنا التفسيري الذي تركه لنا علماء التفسير على مر العصور كثيرًا من الاستطرادات العلمية، في كثير من مسائل العلوم التي برع فيها كل مفسر.

ومع القيمة العلمية لهذه الاستطرادات التي جمعتها كتب التفسير، إلا أنها في كثير من المواضع طغت على بيان معاني ومقاصد وهدايات الآيات، حتى إننا

– مع كل هذه الجهود التي بذلها أئمة التفسير على مر العصور – نجد في الواقع مَنْ يسأل عن تفسير يساعده على فهم معاني القرآن الكريم، ما يشير إلى أننا مازلنا بحاجة إلى تفسير القرآن الكريم، تفسيرًا يُعنى ببيان هدايات القرآن الكريم في واقعنا وحياتنا ومعاملاتنا، تفسيرًا يبين هدايات القرآن الكريم بعيدًا عن الاستطرادات التي تَبعد بالتفسير عن مقاصد وهدايات الآيات، وتَبعد بالقارئ عن التدبر والاهتداء. مازلنا بحاجة إلى تفسير لا يخاطب فئة خاصة من المسلمين، بل يخاطب كل مسلم، ويفي بحاجة كل مسلم إلى فهم كتاب ربه.

سبب اختيار الموضوع:

أما عن سبب اختياري للكتابة في هذا الموضوع:

السؤال الذي يتكرر عليَّ كثيرًا – منذ أن كنت طالبة في مرحلة الإجازة العالية، والتحقت بقسم التفسير وعلوم القرآن؛ حتى الآن – وهو: أي كتب التفسير يمكن الرجوع إليه؛ لفهم معاني القرآن الكريم بطريقة سهلة ميسرة، بعيدة عن الحشو والتطويل، والاستطراد، والتوسع في مسائل لا حاجة إليها في فهم معاني الآيات؟

كثيرًا ما يوجه إليَّ هذا السؤال من غير متخصصين، ولا أتعجب من هذا؛ لأن غير المتخصص لا يشغله إلا فهم المعنى بأبسط العبارات، لكن ما أثار تعجبي، تكرر هذا السؤال من دارسين ودارسات في تخصص التفسير، حيث يسألون عن تفسير يُمكنهم الاعتماد عليه، في فهم معاني القرآن الكريم – بعيدًا عن مناهج الدراسة –، يؤهلهم لتلبية حاجة المجتمع والبيئة التي يعيشون فيها؛ إلى فهم معاني ومقاصد القرآن الكريم، من خلال الأسئلة التي توجه إليهم في بيئاتهم، باعتبارهم دارسين في هذا التخصص؛ فيسألون عن تفسير يساعدهم في ذلك، وكأن ما يدرسونه لا يحقق لهم هذا الهدف!

ومن هذا السؤال كانت فكرة الكتابة في هذا الموضوع، حتى عزمت على كتابة هذا البحث، بعنوان:-

استطراد المفسرين وأثره في التفسير

أهداف دراسة الموضوع:

١. بيان المقصود باستطراد المفسرين.

٢. توضيح أثر الاستطراد في التفسير على بيان معاني وهدايات آيات القرآن الكريم.

٣. بيان ضرورة وضع رؤية معاصرة واضحة ومحددة، نحو منهج لتدريس تفسير القرآن الكريم، يتم فيه الربط بين ما يتم تدريسه في مناهجنا الدراسية الخاصة بتفسير القرآن؛ وحاجة المجتمع إلى هذا التفسير.

٤. بيان أهمية توجيه أنظار الباحثين والباحثات إلى النظر في تراثنا التفسيري، وتحديد الجوانب الإيجابية، والمآخذ التي تؤخذ على بعض التفاسير، للاستفادة منها في إخراج تفسير يلائم حاجة المجتمع إلى فهم كتاب الله تعالى، بعيدًا عن التكلف والإسراف في الاستطراد الذي يؤثر على الاهتمام بإبراز معاني وهدايات الآيات.

٥. أن يكون هذا البحث رسالة إلى علماء هذا الفن للاهتمام بالتعاون في إعداد تفسير يُلبي حاجة المجتمع إلى فهم معاني ومقاصد وهدايات القرآن الكريم، بعيدًا عن الاستطرادات، وكثرة الخلافات.

خطة البحث:

أما عن خطة الكتابة في هذا الموضوع فهي على النحو الآتي:-

تقسيم هذا البحث إلى مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة.

- **المقدمة:** وفيها سبب اختيار الموضوع، وخطة البحث، والمنهج المتبع في كتابة هذا البحث.

- **المبحث الأول:** التعريف بالاستطراد في التفسير، وفيه: تعريف الاستطراد لغة واصطلاحًا – المقصود باستطراد المفسرين.
- **المبحث الثاني:** نشأة الاستطراد في التفسير، وصوره ومناهج المفسرين فيه.
- **المبحث الثالث:** نماذج من استطرادات المفسرين في التفسير.
- **المبحث الرابع:** أثر استطراد المفسرين في التفسير.
- **الخاتمة:** وتشتمل على أهم نتائج وتوصيات البحث، كما تشتمل على:
- فهرس للمراجع والمصادر التي تم الاعتماد عليها في كتابة هذا البحث.
- فهرس لموضوعات البحث.

منهج البحث:-

أما عن المنهج المتبع في هذا البحث، فهو كالآتي:

تعتمد الدراسة في هذا البحث على المنهج الاستقرائي التحليلي، المتمثل في استقراء وتتبع ما يتعلق باستطرادات المفسرين في كتب التفسير القديمة والمعاصرة، مع جمع بعض نماذج من هذه الاستطرادات التي توضح مناهج المفسرين في الاستطراد، وأثر الاستطراد في التفسير.

ومن خلال هذا المنهج، كانت أهم خطوات العمل في هذا البحث كالآتي:

١. الاعتماد على كتب التفسير القديمة والمعاصرة في دراسة استطراد المفسرين، حسبما توفر لي من مراجع في ذلك.
٢. الاستعانة بمراجع علوم القرآن واللغة، وغير ذلك مما تيسر لي الرجوع إليه من مراجع يمكن الاستفادة منها في دراسة هذا الموضوع.
٣. عرض بعض النماذج من استطرادات المفسرين في التفسير، مع مراعاة الترتيب الزمني في عرضها.
٤. توثيق النقول بنسبتها إلى مصادرها، مع الإشارة إلى التصرف فيها، إن تم التصرف في النص المنقول، ومع مراعاة التدرج في التوثيق من الأقدم إلى القديم، ثم إلى الحديث، وترتيب المراجع حسب ذلك بالهامش.

٥. الاكتفاء بذكر بيانات المرجع الخاصة بجهة طبعه أو نشره، وتاريخ الطبعة عند ذكره للمرة الأولى فقط.

٦. عزو الآيات القرآنية الكريمة المستشهد بها في البحث إلى سورها، بإثبات رقم الآية، واسم السورة بالهامش في نهاية الصفحة.

٧. عند الاستشهاد بجزء من الآية يوضع عدة نقط (...) قبل الجزء المستشهد به وبعده، أو قبله فقط، أو بعده فقط. حسب موضع الجزء المستشهد به من الآية، وذلك للإشارة إلى أن هذا جزء آية، وليس آية كاملة.

٨. وضع هامش كل صفحة أسفل نفس الصفحة؛ لتيسير الرجوع إلى الهامش.

٩. تذييل البحث بخاتمة، تشتمل على أهم نتائج وتوصيات البحث، كما تشتمل على فهرس للمراجع والمصادر التي تم الاعتماد عليها في البحث، وفهرس لموضوعات البحث، وذلك لتيسير الرجوع إلى ما اشتمل عليه البحث.

١٠. الاقتصار في فهرس المراجع على إثبات المراجع التي تم النقل منها والأخذ عنها فقط، حيث تم الاعتماد في استقراء وتتبع استطرادات المفسرين على كثير من كتب التفسير التي تحويها المكتبة الإسلامية، ما بين قديم وحديث، لكن لم يثبت في فهرس المراجع إلا ما تم النقل منه فقط؛ تجنبًا للإطالة.

وبعد ،،،

فهذه لبنة متواضعة في صرح الدراسات القرآنية، التي تزخر بها المكتبة الإسلامية. أسأل الله تعالى أن ينفع بها، كما أسأله سبحانه أن يتقبل مني هذا الجهد المتواضع الذي أرجو به خدمة كتابه الكريم، إنه سبحانه نعم المولى ونعم النصير.

والحمد لله رب العالمين

عائشة السيد محمد

﴿ المبحث الأول ﴾
التعريف بالاستطراد في التفسير

جدير بالذكر قبل التعريف بالاستطراد في اللغة والاصطلاح، الإشارة إلى أن المقصود بالاستطراد في هذا الموضوع الخاص باستطراد المفسرين وأثره في التفسير؛ يختلف عن الاستطراد الذي هو فن من فنون البديع، وأسلوب من أساليب البلاغة في اللغة العربية.

تعريف الاستطراد لغة:

أصل الكلمة في اللغة: (طَرَدَ)، والطاء والراء والدال أصل واحد صحيح يدل على إبعاد. يُقَالُ: طَرَدْتُهُ طَرْدًا. وَأَطْرَدَهُ السُّلْطَانُ وَطَرَّدَهُ، إِذَا أَخْرَجَهُ عَنْ بَلَدِهِ. وَيُقَالُ: اطَّرَدَ الشَّيْءُ اطِّرَادًا، إِذَا تَابَعَ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَإِنَّمَا قِيلَ ذَلِكَ تَشْبِيهًا، كَأَنَّ الْأَوَّلَ يَطْرُدُ الثَّانِي. وَاطَّرَدَ الْأَمْرُ: اسْتَقَامَ. وَكُلُّ شَيْءٍ امْتَدَّ فَهَذَا قِيَاسُهُ. يُقَالُ: طَرِّدْ سَوْطَكَ: مَدِّدْهُ.

ومِنَ المَجَازِ: الطَّرِيدُ من الأَيام: الطَّوِيلُ، يُقَال: مَرَّ بِنَا يومٌ طَرِيدٌ وطَرَّادٌ، أَي طَوِيلٌ، والطَّرَّاد: مَنْ يُطَوِّلُ على النَّاس القِرَاءَةَ حتَّى يَطْرُدَهُمْ، وَطَرَدْتُ الْخِلَافَ فِي الْمَسْأَلَةِ طَرْدًا أَجْرَيْتُهُ كَأَنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنْ الْمُطَارِدَةِ وَهِيَ الْإِجْرَاءُ لِلسِّبَاقِ ، وَاسْتَطْرَدَ لَهُ فِي الْحَرْبِ إِذَا فَرَّ مِنْهُ كَيْدًا ثُمَّ كَرَّ عَلَيْهِ فَكَأَنَّهُ اجْتَذَبَهُ مِنْ مَوْضِعِهِ.

ووقع لك على وجه الاستطراد كأنه مأخوذ من ذلك، وهو الاجتذاب، لأنك لم تذكره في موضعه.[1]

---

(١) يُراجع: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. تأليف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، مادة: (طرد) ٢/٥٠١، ٥٠٢، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م، مقاييس =

تعريف الاستطراد اصطلاحًا:

أما عن تعريف الاستطراد في اصطلاح العلماء، فقد وردت عدة تعريفات للاستطراد في اصطلاح العلماء، تدور كلها حول المعنى اللغوي للاستطراد، ومن ذلك:-

١. **الاستطراد:** سوق الكلام على وجه يلزم منه كلام آخر، وهو غير مقصود بالذات، بل بالعرض.(١)

٢. **الاستطراد:** أن يكون الكلام في شيء من الفنون، ثم سنح للمتكلم فن آخر يناسبه فيورده في ذكره.(٢)

=

اللغة. تأليف: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي أبو الحسين. تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مادة: (طرد) ٤٥٥/٣، ٤٥٦، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. تأليف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي الحموي أبو العباس. مادة: (ط ر د) ٣٧٠/٢، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، تاج العروس من جواهر القاموس. تأليف: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض الملقب بمرتضى الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، مادة: (طرد) ٣١٧/٨ – ٣٢٥، الناشر دار الهداية.

(١) كتاب التعريفات. تأليف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ص:٢٠، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، تأليف: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي أبو البقاء الحنفي، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، ص: ١١٠، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.

(٢) يُراجع: معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم. تأليف: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، تحقيق: أ.د. محمد إبراهيم عبادة، ص: ٩٧، الناشر: مكتبة الآداب – القاهرة – مصر، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م (بتصرف يسير).

٣. **الاستطراد:** ذكر الشيء في غير موضعه.(١)

٤. **الاستطراد:** ذكر الشيء لا عن قصده، بل بتبعية غيره.(٢)

٥. **الاستطراد:** الانتقال من معنى، إلى معنى آخر متصل به، لم يُقصد بذكر الأول التوصل إلى ذكر الثاني.(٣)

وكل هذه المعاني متقاربة، ولا تخرج عن المعنى اللغوي للاستطراد، حيث تفيد أن الاستطراد ابتعاد عن الغرض الأصلي الذي سيق له الكلام، ومن هنا يتضح المقصود باستطراد المفسرين.

المقصود باستطراد المفسرين:

من خلال تعريف الاستطراد في اللغة والاصطلاح، يتضح أن المقصود باستطراد المفسر ــ عندي ــ: انتقال المفسر من الكلام في بيان معنى الآية أو الآيات، إلى كلام آخر تابع لكلامه ومتصل به، بعيد عن الغرض الأصلي الذي سيق له الكلام.

---

(١) التوقيف على مهمات التعاريف. تأليف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي المناوي القاهري، ص: ٤٨، الناشر: عالم الكتب – القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.

(٢) دستور العلماء (جامع العلوم في اصطلاحات الفنون). تأليف: القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، ٨٠/١، الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

(٣) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة. تأليف: عبد المتعال الصعيدي، ٥٩١/٤، الناشر: مكتبة الآداب، الطبعة: السابعة عشر ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

﴿المبحث الثاني﴾
نشأة الاستطراد في التفسير وصوره ومناهج المفسرين فيه

ترجع نشأة الاستطراد في التفسير إلى مرحلة ظهور التفسير العقلي في عصر التدوين، حيث خطا التفسير في هذه المرحلة خطوة واسعة، امتدت من العصر العباسي إلى يومنا هذا، فبعد أن كان تدوين التفسير مقصورًا على ما نُقِل عن سلف هذه الأمة، تجاوز ذلك إلى تدوين تفسير اختلط فيه الفهم العقلي بالتفسير النقلي، وكان ذلك على تدرج ملحوظ، بدأ أولًا على هيئة محاولات فهم شخصي، وترجيح لبعض الأقوال على بعض، وكان هذا أمرًا مقبولًا مادام يرجع الجانب العقلي منه إلى حدود اللغة ودلالة الكلمات القرآنية، ثم ظلت محاولات هذا الفهم الشخصي تزداد وتتضخم، متأثرة بالمعارف المختلفة، والعلوم المتنوعة، والآراء المتشعبة، والعقائد المتباينة، حتى وُجِد من كتب التفسير ما يجمع أشياء كثيرة لا تكاد تتصل بالتفسير إلا عن بُعد عظيم.

ودُونت علوم اللغة، ودُوِّن النحو والصرف، وتشعبت مذاهب الخلاف الفقهي، وأُثيرت مسائل الكلام، وظهر التعصب المذهبي في العصر العباسي، وقامت الفرق الإسلامية بنشر مذاهبها والدعوة إليها، وتُرجمت كتب كثيرة من كتب الفلاسفة، فامتزجت كل هذه العلوم وما يتعلق بها من أبحاث بالتفسير، حتى طغت عليه؛ حيث صنف في التفسير قوم برعوا في هذه العلوم، فكان كل منهم يقتصر في تفسيره على الفن الذي يغلب عليه.

فالنحويّ تراه ليس له هَم إلا الإعراب وتكثير الأوجه المحتملة فيه، ونقل قواعد النحو ومسائله وفروعه وخلافيَّاته.

وصاحب التاريخ ليس له شغل إلا القصص واستيفاءها، وذكر أخبار مَنْ سلف، ما صح منها وما لا يصح.

والفقيه يكاد يسرد فيه الفقه، وربما استطرد إلى إقامة أدلة الفروع الفقهية التي لا تعلق لها بالآية، والجواب عن أدلة المخالفين.

وصاحب العلوم العقلية، يعني بأقوال الحكماء والفلاسفة، وذكر شبههم والرد عليها.(١)

وهكذا كل مَنْ برع في فن من فنون العلم أكثر من الاستطراد في مسائل وفروع ما برع فيه، حتى كثرت الاستطرادات في التفسير، ومن هنا نشأ الاستطراد في التفسير وتعددت صوره.

صور الاستطراد في التفسير:

من خلال هذا الكلام السابق عن نشأة الاستطراد في التفسير، وبتتبع الاستطرادات التي تضمها كتب التفسير، يتضح لي أن استطرادات المفسرين تدور حول الصور الآتية:

١. الاستطراد بالاستكثار من ذكر الروايات للمعنى الواحد في الآية، بطرق مختلفة وأسانيد متعددة.

٢. الاستطراد في توليد المعاني والفوائد.

---

(١) يُراجع: الإتقان في علوم القرآن. تأليف: الإمام جلال الدين السيوطي الشافعي، مراجعة وتدقيق: سعيد المندوه ٥٠٠/٤، ٥٠١، الناشر: دار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٦ه – ١٩٩٦م، التفسير والمفسرون. تأليف: د. محمد حسين الذهبي، ١٥٦/١ – ١٥٩، الناشر: مكتبة وهبة – القاهرة، الطبعة السادسة ١٤١٦ه – ١٩٩٥م (بتصرف).

٣. الاستطراد في استنباط المسائل والقضايا العلمية.
٤. الاستطراد في استنباط المسائل الكلامية.
٥. الاستطراد في مسائل وفروع علم النحو.
٦. الاستطراد في مسائل وفروع علم القراءات.
٧. الاستطراد في مسائل وفروع علم الفقه.
٨. الاستطراد في ذكر القصص والأخبار.
٩. الاستطراد في ذكر المناسبات.
١٠. الاستطراد في ذكر خلافات العلماء، والتوسع في ذكر الأدلة.
١١. الاستطراد في الرد على المخالفين في الرأي أو المذهب.

وجدير بالذكر، أن هذه العلوم السابق ذكرها أدوات للمفسر، لا غنى عنها في التفسير، بل إنها من أهم ما يُعين المفسر على توضيح المعنى وبيانه، لكن ينبغي أن يكون الاعتماد عليها بالقدر المناسب لتوضيح المعنى، والكشف عن هدايات الآيات دون الاستطراد في المسائل والفروع التي تبعد عن معاني وهدايات الآيات، ودون الإسهاب الذي تضخمت به كتب التفسير، وعَطَّل القارئ عن التدبر في المعاني والهدايات.

هذا، وهناك صور أخرى من صور الاستطراد في التفسير لا تتعلق بالمسائل العلمية، منها:-

١. استطراد المفسر في حمل المعنى على أحوال عصره.
٢. استطراد المفسر في حكاية وقائع وأحداث شاهدها أو سمعها أو حدثت له.

مناهج المفسرين في الاستطراد:

إن المتتبع لاستطرادات المفسرين في كتب التفسير يرى أن استطرادات المفسرين في كثير من العلوم، لا ضابطَ لها، ولا منهجَ واضحًا محددًا لها،

حيث تتفاوت وتتنوع الاستطرادات من مفسر لآخر، كما تتفاوت وتتنوع استطرادات كل مفسر في تفسيره من موضع لآخر حسبما يراه؛ حتى إننا نجد كثيرًا من الاستطرادات التي لا تتعلق بالآيات، ولا يوجد في الآيات ما يشير إليها بأي وجه.

والنماذج لاستطرادات المفسرين واضحة لكل من يُطالع كتب التفسير، وسأكتفي بعرض قليل منها – خشية الإطالة – في المبحث القادم.

﴿ المبحث الثالث ﴾

نماذج من استطرادات المفسرين في التفسير

بالنظر في كتب التفسير، يتضح أن استطرادات المفسرين في التفسير كثيرة ومتنوعة، لا يكفي هذا البحث لاستيعابها وجمعها، وليس هذا هدف البحث، ولذا سأكتفي بعرض قليل من هذه النماذج، مع مراعاة الترتيب الزمني في عرضها، لبيان أن هذا المنهج من المناهج القديمة الحديثة في التفسير، تناقله المفسرون وتأثروا فيه ببعضهم، وتأثر التفسير به في كل عصر من العصور، واستمر ذلك حتى وجدنا في التفاسير المعاصرة أيضًا كثيرًا من الاستطرادات.

والنماذج لهذا كثيرة جداً في كتب التفسير، ومن ذلك:

١. ما ذكره الإمام مكي بن أبي طالب القيسي (المتوفى عام: ٤٣٧هـ) في تفسيره: "**الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره**"، عند تفسير قوله تعالى من سورة الأنفال: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ**﴾[(١)].

حيث ذكر الإمام مكي تفسير الآيات الكريمة، فقال: "فهذه الصفة صفة الكمال والتمام في الإيمان، والمعنى: ليس المؤمن الذي يخالف الله ورسوله، ويترك أمرهما، وإنما المؤمن الذي إذا سمع ذِكر الله (ﷻ) وَجِلَ قَلْبُهُ، وَخَضَعَ، وانْقَادَ لأَمْرِهِ – تبارك وتعالى–، وإذا قرئت عليه آيات كتاب الله – سبحانه–، صدق بها وأيقن أنها من عند الله – جلت عظمته–، فازداد إيماناً إلى إيمانه...،

(١) سورة الأنفال: الآيات ٢ – ٤.

﴿**الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ**﴾ أي يقيمونها في أوقاتها، وقيل: يقيمونها بحدودها، ﴿**أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا**﴾ المعنى: أولئك الذين هذه صفتهم هم المؤمنون حقاً."(١)

ثم استطرد قائلًا: "وَهَذَا بَابٌ تُذْكَرُ فِيهَ حَقِيقَةُ الإِيمَانِ وَتَفْسِيرُهُ، وَمَا رُوِيَ فِيهِ، إِنْ شَاءَ اللهُ (ﷻ)."(٢)

واستطرد في بيان حقيقة الإيمان، وذكر آراء الفرق واختلافاتهم في المسائل المتعلقة بذلك، فيما يقارب ثلاث صفحات.(٣)

ثم انتقل من هذا الاستطراد إلى استطراد آخر، تحدث فيه عن شرط قبول الأعمال، وأثر الرياء في ذلك، فيما يقارب ثمانيَ صفحات.(٤)

٢. ومن ذلك أيضًا: ما ذكره عند تفسير قوله تعالى من سورة التوبة: ﴿**وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾(٥).

---

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه، وجمل من فنون علومه. تأليف: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني الأندلسي القرطبي المالكي. تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ.د. الشاهد البوشيخي، ٤/٢٧١٤، ٢٧١٥ (باختصار)، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.

(٢) المرجع السابق ٤/٢٧١٥.

(٣) يُراجع: المرجع السابق ٤/٢٧١٥ – ٢٧١٧.

(٤) يُراجع: المرجع السابق ٤/٢٧١٧ – ٢٧٢٤.

(٥) سورة التوبة: آية: ١٠٠.

حيث ذكر في قوله تعالى: ﴿**تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ**﴾: "ومن قرأ ﴿**مِن تَحْتِهَا**﴾، بزيادة ﴿**مِن**﴾ فمن أجل أنها في مصاحف أهل مكة كذلك، وفي سائر المصاحف بغير ﴿**مِن**﴾"(١).

ثم استطرد قائلًا: "وهذا باب في خطوط المصاحف في الحروف التي اختلف فيها القراء، من ذلك: قوله في سورة البقرة: ﴿**وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ ...**﴾(٢)، هي في مصاحف أهل الشام بغير "واو"، وفي سائر المصاحف بـــ"الواو".

وفيها(٣): ﴿ **وَوَصَّى...**﴾(٤)، هي في مصاحف المدينة والشام بـــــ: "ألـــف"، وفي سائر المصاحف بـــ "الواو" بغير "ألف".

وفي آل عمران: ﴿**...سَارِعُوا...** (٥)، في مصاحف أهل المدينة، وأهل الشام بغير "واو"، وفي سائر المصاحف بـــ "الواو"."(٦)

وهكذا استطرد في بيان ذلك في عدد من الصفحات(٧)، ثم انتقل من هذا الاستطراد إلى استطراد آخر، ذكر فيه سبب اختلاف القراء واختلاف المصاحف؛ وذلك في عدد من الصفحات أيضًا.(٨)

---

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية ٣١٠٨/٤.

(٢) سورة البقرة: جزء آية: ١١٦.

(٣) أي في سورة البقرة.

(٤) سورة البقرة: جزء آية: ١٣٢، والآية بتمامها: ﴿**وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**﴾.

(٥) سورة آل عمران: جزء آية: ١٣٣ والآية بتمامها: ﴿ **وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾.

(٦) الهداية إلى بلوغ النهاية ٣١٠٩/٤.

(٧) المرجع السابق ٣١٠٩/٤ – ٣١٢٣.

(٨) المرجع السابق ٣١٢٤/٤ – ٣١٣٥.

ومن النماذج للاستطراد في التفسير:

٣. ما ذكره الإمام القرطبي (المتوفى عام: ٦٧١هـ) في تفسيره: "**الجامع لأحكام القرآن**"، عند تفسير قوله تعالى من سورة النحل: ﴿**وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾[١].

حيث ذكر في تفسير هذه الآية عدة مسائل، ذكر في المسألة الأولى القراءات في الآية[٢]، وفي المسألة الثانية ذكر معنى الآية، حيث قال: "قال العلماء: ملكنا الله تعالى الأنعام والدواب وذللها لنا، وأباح لنا تسخيرها والانتفاع بها رحمة منه تعالى لنا، وما ملكه الإنسان وجاز تسخيره من الحيوان، فكراؤه[٣] له جائز بإجماع أهل العلم، لا اختلاف بينهم في ذلك."[٤]

وجدير بالذكر، أنه قال بعد هذا الكلام: "وحكم كراء الرواحل والدواب مذكور في كتب الفقه."[٥]، ومع ذلك استطرد في الحديث عن حكم اكتراء الدواب والرواحل والسفر بها، في المسألة الثالثة، حيث قال: "لا خلاف بين العلماء في اكتراء الدواب والرواحل عليها والسفر بها، لقوله تعالى:﴿ **وَتَحْمِلُ**

---

(١) سورة النحل: آية: ٨.

(٢) يُراجع: تفسير القرطبي "الجامع لأحكام القرآن"، تأليف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ٧٣/١٠، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م

(٣) اكترى الدَّار وغيرها: استأجرها، والكرَاء: أجر المستأجر. يُراجع: المعجم الوسيط. تأليف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، مادة: (كرى) ٧٨٥/٢ الناشر: دار الدعوة.

(٤) تفسير القرطبي ٧٤/١٠.

(٥) المرجع السابق ٧٤/١٠.

أَثْقَالَكُمْ...﴾[1] الآية، وأجازوا أن يكري الرجل الدابة والراحلة إلى مدينة بعينها، وإن لم يسم أين ينزل منها..."[2].

واستطرد في ذكر كثير من الفروع الدقيقة المتعلقة بهذه المسألة، حتى انتقل إلى ذكر اختلاف الفقهاء في مسألة ضمان الدابة إذا هلكت أو ماتت في الطريق إلى الموضع الذي اكتراها الرجل إليه، وقد جاوز الموضع المسمى أو الأمد.[3]

ثم انتقل من هذا الاستطراد في ذكر كثير من المسائل والفروع المتعلقة بحكم كراء الرواحل والدواب، إلى الاستطراد في الحديث عن حكم أكل لحوم الخيل والبغال والحمير، وحكم زكاة الخيل، في عدد من الصفحات.[4]

والآية لم تُشر إلى حكم في هذا الموضوع حتى يُفَسَّر، وكل هذه المسائل والفروع محلها كتب الفقه.

فالآية الكريمة:﴿ **وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾[5] في سياق امتنان الله تعالى على عباده بهذه النعم، وهذا المقصد هو ما ينبغي الاهتمام به في تفسير الآية.

ومن أمثلة استطرادات المفسرين في التفسير:

٤. استطرادات الإمام النيسابوري (المتوفي عام: ٨٥٠هـ)، في تفسيره: "**غرائب القرآن ورغائب الفرقان**"، حيث يستطرد كثيرًا في ذكر آراء الفِرَق

(١) سورة النحل: جزء آية: ٧.
(٢) يُراجع: تفسير القرطبي ٧٤/١٠، ٧٥.
(٣) المرجع السابق ٧٥/١٠.
(٤) المرجع السابق ٧٦/١٠ – ٧٩.
(٥) سورة النحل: آية: ٨.

وأدلتهم وحججهم، ويخرج من استطراد إلى استطراد، ومن رد شبهة إلى ذكر شبهة، وهكذا.

ومع أن استطرادات الإمام النيسابوري في هذا التفسير لا تتسم بالطول الذي نراه في استطرادات بعض المفسرين، إلا أن طريقته في الانتقال من استطراد إلى استطراد، والإكثار من استنباط المسائل والفوائد، تطغى على بيان معنى الآية، وتبعد بالقارئ عن الغرض الأصلي الذي سيق له الكلام.

ومن الأمثلة على ذلك:

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾ (١)، ذكر معنى الآية باختصار، حيث قال: "﴿**وَمَنْ جَاهَدَ** ...﴾ الآية، أن فائدة التكاليف والمجاهدات إنما ترجع إلى المكلف والله غني عن كل ذلك."(٢)

ثم استطرد قائلًا: "قال المتكلمون من الأشاعرة: في الآية دلالة على أن رعاية الأصلح لا تجب على الله وإلا كان مستكملًا بذلك، وأن أفعاله لا تعلل بغرض لأن ذلك خلاف الغنى، وأنه ليس في مكان وإلا لزم افتقاره. وأنه ليست قادريته بقدرة ولا عالميته بعلم لأن القدرة والعلم غيره فيلزم افتقاره. ويمكن أن يجاب عن الأول بأن وجوب صدور الأصلح عنه لمقتضى الحكمة لا يوجب الاستكمال. وعن الثاني بأن استتباع الفائدة لا يوجب افتقار المفيد. وعن الثالث أن استصحاب المكان غير الافتقار إليه. وعن الرابع أن العالم هو ما يغاير ذات

---

(١) سورة العنكبوت: آية: ٦.

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان. تأليف: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، ٣٧٠/٥، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

الله مع صفاته، وفي الآية بشارة من وجه وإنذار من وجه آخر، وذلك أن الاستغناء عن الكل يوجب غناه عن تعذيب كل فاجر كما أنه يمكن أن يهلك كل صالح ولا شيء عليه إلا أنه رجح جانب البشارة بقوله: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** ...﴾[1] الآية، وقد مر مرارًا أن الإيمان في الشرع عبارة عن التصديق بجميع ما قال الله تعالى وقال رسول الله (ﷺ) تفصيلًا فيما علم وإجمالا فيما لم يعلم، والعمل الصالح هو الذي ندب الله ورسوله إليه، والفاسد ما نهى الله ورسوله (ﷺ) عنه. وعند المعتزلة الأمر والنهي مترتب على الحسن والقبح. ثم العمل الصالح باق لأنه في مقابلة الفاسد، والفاسد هو الهالك التالف. يقال: فسد الزرع إذا خرج عن حد الانتفاع. ولكن العمل عرض لا يبقى بنفسه ولا بالعامل لأن كل شيء هالك إلا وجهه، فبقاؤه إنما يتصور إذا كان لوجه الله. ومنه يعلم أن النية شرط في الأعمال الصالحة وهي كونها لله تعالى. وخالف زفر في نية الصوم وأبو حنيفة في نية الوضوء ..."[2].

ثم انتقل من هذه المسألة، إلى الاستطراد في مسألة أخرى، وهكذا.

وبهذا تتضح طريقة الإمام النيسابوري في الإكثار من الاستطرادات والانتقال من استطراد إلى استطراد، ومن استنباط إلى استنباط في بيان معاني الآيات، حتى امتلأ هذا التفسير بكثير من المسائل والفوائد التي قد تطغى على بيان معاني الآيات. والأمثلة على هذا كثيرة في هذا التفسير.

٥. وما أكثر النماذج للاستطراد في التفسير في " **تفسير المنار**" للشيخ محمد رشيد رضا (المتوفى عام: ١٣٥٤هـ)! حيث أكثر من الاستطرادات، التي قد تصل في بعض المواضع إلى ما يزيد على مائة صفحة.

---

(١) سورة العنكبوت: جزء آية: ٧.

(٢) تفسير النيسابوري ٥/٣٧٠، ٣٧١.

ومن أمثلة الاستطراد في هذا الكتاب:

عند تفسير قوله تعالى: ﴿ **أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ** ﴾(١).

ذكر الشيخ معنى الآية الكريمة، ثم استطرد في الحديث عن إثبات نبوة محمد (ﷺ)، ونقل في ذلك أقوال المستشرقين، وأكثر من نقل نصوص شبهات المنكرين لوقوع الوحي، ثم انتقل إلى الحديث عن البعث والجزاء، ومنه إلى الحديث عن منكري المعجزات، ثم استطرد في الحديث عن كثير من الموضوعات التي بَعُد بها عن تفسير الآية الكريمة.(٢)

والنماذج للاستطراد في التفسير كثيرة جدًا في هذا الكتاب، لا مجال لعرض شيءٍ منها بنصه خشية الإطالة.

٦. هذا، ومع الفوائد الجمة التي اشتمل عليها كتاب "**التحرير والتنوير**" للطاهر بن عاشور (المتوفى عام: ١٣٩٣هـ)، إلا أن به كثيرًا من الاستطرادات التي لا حاجة إليها في تفسير آيات القرآن الكريم، خاصة المواضع التي استطرد فيها بنقل كثير من نصوص التوراة والإنجيل.

ومن ذلك: عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ **وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ...** ﴾(٣)

---

(١) سورة يونس: آية: ٢.

(٢) يُراجع: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، تأليف: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني، ١١/ ١١٨ – ٢٤٠، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠م.

(٣) سورة البقرة: جزء آية: ١٠٢.

تحدث عن معنى السحر، وأنه من المعارف القديمة، حيث قال: "والسحر من المعارف القديمة التي ظهرت في منبع المدنية الأولى أعني ببلاد المشرق، فإنه ظهر في بلاد الكلدان والبابليين وفي مصر في عصر واحد، وذلك في القرن الأربعين قبل المسيح ...."[١].

ثم استطرد في الحديث عن السحر عند العرب، ثم انتقل إلى ما ورد في التوراة فقال: وورد في التوراة النهي عن السحر فهو معدود من خصال الشرك وقد وصفت التوراة به أهل الأصنام فقد جاء في سفر التثنية في الإصحاح ١٨...، ثم نقل نصًّا من سفر التثنية، وانتقل منه إلى نقل ما جاء في سفر اللاويين، الإصحاح: ٢٠[٢]، وهكذا استطرد في الحديث عن السحر، وانتقل من نصوص التوراة إلى الحديث عن تناقل السحر بين الأمم ، ومن ذلك إلى الحديث عن أصول السحر، وعن تأثيره، وعن أنواع الأعمال التي تحف بالسحر[٣]، ثم عاد إلى نقل نصوص التوراة التي تُبين جزاء السحرة، فنقل من سفر اللاويين الإصحاحين ٢٠ – ٢٧.[٤]

ثم انتقل إلى الحديث عن اختلاف علماء الإسلام في إثبات حقيقة السحر، وأقوال الفقهاء في عقوبة الساحر....[٥]، وهكذا انتقل من استطراد إلى استطراد، حتى تجاوز تسع صفحات في كلمة السحر فقط.[٦].

---

(١) يُراجع: التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، تأليف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، ٦٣١/١، الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤م.

(٢) المرجع السابق ٦٣٢/١.

(٣) المرجع السابق ٦٣٢/١ – ٦٣٦.

(٤) المرجع السابق ٦٣٦/١.

(٥) المرجع السابق ٦٣٧/١، ٦٣٨.

(٦) المرجع السابق ٦٣٠/١ – ٦٣٩.

وبعد، فهذه إشارة سريعة إلى بعض النماذج لاستطرادات المفسرين في التفسير، راعيت في عرضها الابتعاد عما ذاع واشتهر بكثرة الاستطراد من التفاسير، كتفسير الرازي، وتفسير ابن عطية، والبحر المحيط، وغير ذلك من التفاسير التي اشتهرت بكثرة الاستطراد، واقتصرت في عرض بعض نماذج من غير هذه التفاسير التي اشتهرت بكثرة الاستطراد؛ لبيان أن هذه الطريقة في التفسير، لم تسلم منها كتب التفسير في جميع العصور، وأن المفسرين تناقلوا هذه الطريقة في التفسير؛ على اختلاف بيئاتهم وأزمنتهم.

والنماذج لاستطرادات المفسرين وصورها في كتب التفسير كثيرة، يصعب حصرها، وليس هذا هدف البحث – كما ذكرت سابقًا –، ومن هنا اكتفيت بذكر جانبٍ منها؛ لبيان أثرها في التفسير.

﴿ المبحث الرابع ﴾
أثر استطراد المفسرين في التفسير

من خلال النماذج السابقة، وبالنظر في استطرادات المفسرين في تفسير القرآن الكريم، وبالنظر إلى حاجة المجتمع لتفسير مبسط يسهل معه تدبر معاني وهدايات القرآن الكريم، يتضح أن استطرادات المفسرين في كثير من المسائل والفروع التي لا حاجة إليها في تفسير القرآن الكريم، كان لها بالغ الأثر في التفسير، ليس على المعنى فقط، حيث لم يقتصر أثر استطراد المفسرين في التفسير على الابتعاد عن المعنى، بل امتد إلى القارئ لهذه التفاسير بغرض الاستعانة بها على فهم معاني القرآن الكريم، كما امتد إلى ما هو أبعد من ذلك؛ حيث كان لتضخم كتب التفسير بهذه الاستطرادات أثر واضح في واقع المسلمين وحياتهم.

وفيما يأتي بيان ذلك في عدة نقاط:

١. أن استطراد المفسر في توجيه المعنى بذكر المسائل النحوية، والتوسع في عرض الخلافات بين النحاة والقراء وأهل اللغة، أو التوسع في عرض الأحكام الفقهية، وكثرة التفريعات، والإبعاد في الرد على المخالفين، وعرض الأدلة وتفنيدها والاستطراد في عرض كثير من الروايات الضعيفة والدخيلة، والأقوال في تعيين المبهمات، والتوسع في تفسير الآيات الكونية ....، وغير ذلك من صور الاستطراد في كتب التفسير، يطغى على بيان المعنى في كثير من المواضع، بل قد يبعد بالمعنى إلى حد الغموض في بعض المواضع.

٢. أن الاستطراد في التفسير يَصْرف القارئ عن تدبر معاني وهدايات القرآن الكريم، ذلك أن استطراد المفسر في كثير من مسائل وفروع العلوم المختلفة ابتعد بالتفسير كثيرًا عن الاهتمام بمقاصد وهدايات الآيات؛ حيث نجد

مِن المفسرين مَن اهتم ببيان المقاصد والهدايات؛ لكنها تاهت في زحام الاستطرادات التي امتلأت بها كتبهم، بحيث لا يهتدي القارئ إليها بسهولة.

وقد أشار صاحب المنار إلى تأثير الاستطراد في التفسير على القارئ، حين اقترح على القارئ لتفسيره أن يقرأ الفصول الاستطرادية التي أكثر منها في تفسيره، في غير الوقت الذي يقرأ فيه التفسير لتدبر القرآن والاهتداء به، وذلك حيث قال:-

"وإنني لما استقللت بالعمل بعد وفاته[1]، خالفت منهجه (رحمه الله) بالتوسع فيما يتعلق بالآية من السنة الصحيحة، سواء كان تفسيرًا لها أو في حكمها، وفي تحقيق بعض المفردات، أو الجمل اللغوية، والمسائل الخلافية بين العلماء، وفي الإكثار من شواهد الآيات في السور المختلفة، وفي بعض الاستطرادات لتحقيق مسائل تشتد حاجة المسلمين إلى تحقيقها، بما يثبتهم بهداية دينهم في هذا العصر، أو يقوي حجتهم على خصومه من الكفار والمبتدعة، أو يحل بعض المشكلات التي أَعْيَا حَلُّها بما يطمئن به القلب وتسكن إليه النفس، وأَسْتَحسِنُ للقارئ أن يقرأ الفصول الاستطرادية الطويلة وحدها في غير الوقت الذي يقرأ فيه التفسير لتدبر القرآن والاهتداء به في نفسه، وفي النهوض بإصلاح أمته وتجديد شباب ملته الذي هو المقصود بالذات منه."[2]

٣. أن استطرادات المفسرين في كثير من المسائل والفروع لكثير من العلوم التي برعوا فيها، خلال تفسيرهم لآيات القرآن الكريم؛ تسببت في تضخم كتب التفسير، وامتلأت المؤلفات في تفسير القرآن الكريم بكثير من مسائل العلوم التي لا علاقة لها بمعاني الآيات في كثير من المواضع بكتب التفسير، كما

(١) يقصد شيخه الإمام محمد عبده (رحمه الله).

(٢) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) ١٦/١.

امتلأت بكثير من المعارك الفكرية والخلافات المذهبية التي تجاوز بها المفسرون الاهتمام بهدايات الآيات في واقع الناس وحياتهم، إلى الاهتمام بالتنافس في استخراج المسائل واستنباط القضايا.

ومِن ثَمَّ امتد أثر هذه الاستطرادات في التفسير إلى المجتمع عامة، حيث شكل هذا التضخم لهذه المؤلفات حائلًا بينها وبين مَنْ يريد الرجوع إليها لفهم معاني القرآن الكريم؛ وابتعد كثير من المسلمين عن الاعتماد على هذه المؤلفات الضخمة التي يُبْذَل فيها كثير من الوقت والجهد للوصول إلى فهم المعنى، وذهبوا يبحثون عن فهم معاني القرآن الكريم بطرق أيسر من الرجوع إلى هذه المؤلفات الضخمة التي ازدحمت بما يصعب على كثير من العقول فهمه، وهذا ما جعل الطريق ممهدًا أمام أصحاب الأفكار المنحرفة، للدخول إلى عقول كثير من الشباب وغيرهم ممن يريدون وسيلة سهلة لفهم معاني القرآن الكريم، وخُدِع كثير من المسلمين بالمستغلين لهذا البعد بين تراثنا التفسيري، وحاجة المجتمع المسلم لفهم معاني القرآن الكريم وهداياته.

٤. وجدير بالذكر، أن أثر الاستطراد في التفسير لا يتوقف عند هذا الحد، بل إن هناك أثرًا أبعد من ذلك، يتعلق باستطرادات المفسرين الخاصة بالتعصب للمذاهب والأفكار التي أرادوا بها الانتصار لمذاهبهم وأفكارهم، حيث امتلأت كتب التفسير التي استباح فيها مؤلفوها الانتصار لمذاهبهم، بكثير من الاستطردات للدفاع عن مذاهبهم والترويج لها، وذلك بتحميل معاني الآيات ما يؤيد مذاهبهم ويبطل ما يخالفهم.

وإن خطورة أثر هذا اللون من ألوان الاستطراد في التفسير تكمن في أن هذه الأفكار التي قد تكون بعيدة كل البعد عن الصواب – بحكم وجودها في كتب التفسير – نالت ثقة بعض الناس بها، فتلقوها دون الوقوف على مذهب المفسر وأحوال عصره التي دفعته إلى هذه الأفكار، وتلقاها بعض المسلمين عبر

العصور دون تمييز بين الصحيح وغير الصحيح، بل دون تشكيك في صحتها، لأنها صادرة عن أئمة هذا العلم، وامتلأت أذهان هؤلاء بكثير من الأفكار البعيدة عن الصواب، وصاروا ينقلون هذه الأفكار مع التأكيد على صحتها وتوثيقها بـــ: قال الإمام فلان، وقال الإمام فلان، وكأن هذه الأفكار ثابتة بنصوص القرآن! لأن هؤلاء الأئمة ذكروها أثناء تفسيرهم لآيات القرآن الكريم.

هذا، وفي مقابل كل ذلك نجد في المجتمع مَنْ يحرص على الوقوف على معاني آيات القرآن الكريم من المصادر المعتمدة، ويحاول الوصول إلى معاني وهدايات القرآن الكريم من خلال تفاسير أئمة التفسير؛ باعتبارهم الأصل المعتمد والمُعّول عليه في هذا العلم.

لكن مع صعوبة الوصول إلى المعاني والهدايات التي تفرقت في زحام الاستطرادات والمعارك الفكرية والمذهبية مازال هذا السؤال يتكرر:-

أي كتب التفسير يمكن الرجوع إليه لفهم معاني وهدايات آيات القرآن الكريم بطريقة سهلة ميسرة، بعيدة عن التطويل والاستطراد في مسائل ليست من صميم تفسير القرآن وفهم معانيه واستخراج دره وهداياته؟

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد النبي الهادي الأمين، ورضي الله عن الصحابة والتابعين، ومن اقتدى بهداهم إلى يوم الدين.

وبعد،،،،

فبفضل الله تعالى وتوفيقه سبحانه تم الانتهاء من كتابة هذا البحث، وفيما يلي عرض لأهم نتائج دراسة هذا الموضوع، وعرض لبعض التوصيات (المقترحات).

أولًا: نتائج البحث:

١. ترجع نشأة الاستطراد في التفسير إلى مرحلة ظهور التفسير العقلي في عصر التدوين، وتأثر التفسير بالمعارف المختلفة والعلوم المتنوعة.

٢. تعددت صور الاستطراد في التفسير تبعًا لأنواع العلوم التي برع فيها المفسرون، فالنحوي استطرد في نقل قواعد النحو ومسائله وفروعه وخلافياته، وصاحب التاريخ استطرد في عرض القصص والأخبار، والفقيه استطرد في مسائل الفقه وفروعها، وهكذا.

٣. تتفاوت استطرادات المفسرين في التفسير من مفسر لآخر، كما تتفاوت عند كل مفسر من موضع لآخر، فلا ضابط لهذه الاستطرادات ولا منهج محدد لها في كتب التفسير.

٤. كان لاستطراد المفسرين في التفسير أثر واضح على معاني الآيات، حيث طغت الاستطرادات على بيان المعاني والهدايات في كثير من المواضع بكتب التفسير.

٥. لم يقتصر أثر استطرادات المفسرين في التفسير على المعنى فقط، بل امتد إلى القارئ؛ حيث صرفته عن تدبر معاني القرآن الكريم وهداياته، كما امتد إلى المجتمع، حيث تسببت الاستطرادات التي امتلأت بها كتب التفسير في تضخيم حجمها، ما صَدَّ كثيرًا من الناس عن الاعتماد عليها لفهم معاني القرآن الكريم، وذهبوا يبحثون عن المعنى دون تحمل عناء الوصول إليه في زحام المعارك الفكرية والخلافات المذهبية التي تجاوز بها المفسرون الاهتمام بهدايات الآيات في واقع الناس وحياتهم، إلى الاهتمام بالتنافس في استخراج المسائل واستنباط القضايا في كثير من العلوم.

٦. أن الهداية القرآنية أهم أغراض القرآن الكريم، التي ينبغي أن تحظى باهتمام العلماء المتخصصين في مجال تفسير القرآن، خاصة في هذا العصر الذي أصبحت الحاجة إلى بيان هدايات القرآن الكريم حاجة ضرورية.

٧. أن الاستطرادات التي امتلأت بها كتب التفسير لا تقلل من قيمة هذه المؤلفات القيمة النافعة التي تزخر بها المكتبة الإسلامية، ولا تقلل من جهود أئمة التفسير في جميع العصور، فهؤلاء العلماء – جزاهم الله عن العلم وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء – بذلوا وسعهم في خدمة القرآن الكريم، ولهم الفضل في جميع الجهود التي تُبذل لخدمة القرآن الكريم من بعدهم، إلا أن هذه الاستطرادات التي امتلأت بها مؤلفاتهم في تفسير القرآن الكريم، تسببت في تعذر الانتفاع بهذه المؤلفات لكافة المسلمين، فلا ينتفع بها إلا خاصة الخاصة.

٨. أن هذه التفاسير القيِّمة التي تركها لنا أئمة هذا العلم، اشتملت على معاني ومقاصد وهدايات آيات القرآن الكريم، إلا أنها تفرقت وتناثرت في زحام الاستطرادات التي امتلأت بها هذه الكتب، ولا يزال المسلم بحاجة إلى

تفسير ميسر ومبسَّط، يُستخلص فيه تلك المعاني والهدايات من زحام هذه الاستطرادات في كتب التفسير.

ثانيًا: التوصيات (المقترحات):

١. ضرورة تعاون العلماء المتخصصين في استخلاص معاني وهدايات القرآن الكريم؛ التي تناثرت وتفرقت في زحام استطرادات المفسرين في كتب التفسير، وإخراج تفسير مُيسر يُلبي حاجة كل مسلم إلى فهم القرآن الكريم والاهتداء بهديه.

٢. ضرورة اهتمام علماء هذا التخصص بتفعيل دورهم في المجتمع وفي الواقع، حيث إن مسئوليتهم في بيان معاني القرآن الكريم وتوضيح هداياته ومقاصده، مسئولية عظيمة، وقد بذل الأوائل وسعهم في ذلك، إلا أن الحاجة إلى هدايات القرآن الكريم تتجدد بتجدد أحوال العصور، خاصة في هذا العصر، حيث إن مستجدات هذا العصر، وعقول الأجيال الحديثة تتطلب من المتخصصين في مجال الدراسات القرآنية – خاصة تفسير القرآن – التطوير والتجديد في المنهج، والبعد عن الاستطراد الذي يصل أحيانا إلى حد الجمود، بل الغموض في الكشف عن المعاني والهدايات.

٣. ضرورة إعادة النظر في المناهج والمقررات الدراسية الخاصة بتفسير القرآن الكريم، خاصة التي تُدرس في جامعة الأزهر، بحيث يتم وضع رؤية جديدة لتدريس التفسير يُراعى فيها:-

(أ) الاهتمام بمردود هذه الدراسة في واقع الدارسين ومجتمعاتهم.

(ب) تلبية حاجة الشباب في هذه المرحلة العمرية إلى فهم معاني وهدايات آيات القرآن الكريم.

(ج) تلبية حاجة الدارسين والدارسات الوافدين والوافدات من جميع أنحاء العالم – خاصة الناطقين والناطقات بغير العربية – إلى فهم معاني القرآن الكريم وهداياته؛ ما يتيح لهم تلبية حاجة مجتمعاتهم وبيئاتهم إلى ذلك.

(د) أن يكون ميسرًا بحيث تسهل ترجمته إلى جميع اللغات؛ ليعم نفعه في كل مكان.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. الإتقان في علوم القرآن. تأليف: الإمام جلال الدين السيوطي الشافعي، مراجعة وتدقيق: سعيد المندوه، الناشر: دار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.
٣. بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة. تأليف: عبد المتعال الصعيدي، الناشر: مكتبة الآداب، الطبعة: السابعة عشر: ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.
٤. تاج العروس من جواهر القاموس. تأليف: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض الملقب بمرتضى الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر دار الهداية.
٥. التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد). تأليف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤م.
٦. التعريفات. تأليف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.
٧. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار). تأليف: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠م.
٨. تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن). تأليف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق:

أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.

٩. التفسير والمفسرون. تأليف: د. محمد حسين الذهبي، الناشر: مكتبة وهبة – القاهرة، الطبعة السادسة ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م

١٠. التوقيف على مهمات التعاريف. تأليف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي المناوي القاهري، الناشر: عالم الكتب – القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.

١١. دستور العلماء (جامع العلوم في اصطلاحات الفنون). تأليف: القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

١٢. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. تأليف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: احمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

١٣. غرائب القرآن ورغائب الفرقان. تأليف: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

١٤. الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية). تأليف: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي أبو البقاء الحنفي، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.

١٥. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. تأليف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي الحموي أبو العباس، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت.

١٦. المعجم الوسيط. تأليف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، الناشر: دار الدعوة.

١٧. معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم. تأليف: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، تحقيق:أ.د. محمد إبراهيم عبادة، الناشر: مكتبة الآداب – القاهرة – مصر، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م.

١٨. مقاييس اللغة. تأليف: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي أبو الحسين. تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

١٩. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه. تأليف: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني الأندلسي القرطبي المالكي تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ.د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الملخص باللغة العربية	٧٤٣
الملخص باللغة الإنجليزية	٧٤٤
المقدمة	٧٤٥
المبحث الأول: التعريف بالاستطراد في التفسير	٧٥٠
تعريف الاستطراد لغة	٧٥٠
تعريف الاستطراد اصطلاحًا	٧٥١
المقصود باستطراد المفسرين	٧٥٢
المبحث الثاني: نشأة الاستطراد في التفسير وصوره ومناهج المفسرين فيه	٧٥٣
المبحث الثالث: نماذج من استطرادات المفسرين في التفسير	٧٥٧
المبحث الرابع: أثر استطراد المفسرين في التفسير	٧٦٧
الخاتمة	٧٧١
نتائج البحث	٧٧١
التوصيات (المقترحات)	٧٧٣
فهرس المراجع والمصادر	٧٧٥
فهرس الموضوعات	٧٧٨